حملة الإمبراطور الألماني، "فردريك الثاني"، على بلاد الشام عام 626هـ/ 1229م. حملة عسكرة أم رحلة دبلوماسية؟

أ/ رشيد تومي

قسم التاريخ- جامعة الجزائر2

مقدمة:

تندرج هذه الحملة، في إطار الحركة الصّليبية التي انطلقت عام 1196م، ضدّ البلاد الإسلامية في المشرق، اشتهرت لدى المؤرّخين، بالحملة الصّليبية السادسة[1]. وتشكّل هذه الحملة، محطّة بارزة في تاريخ العلاقات بين الشّرق والغرب إبّان القرن 13م، وهي أكثر الحملات الصّليبية تميّزا، نظرا لدوافعها وظروفها وطبيعتها ونتائجها التي تركت بصماتها عليها، فاجأت كلّ الأوساط، في العالمين الإسلامي والمسيحي على حدّ سواء. وقد انفردت بهذه الخصوصية، لأنّ قائدها، يسمى الإمبراطور فردريك، الذي يُعدُّ واحداً من أبرز حكام العصور الوسطى وأكثرهم إثارة للاهتمام والجدل عند الباحثين، ثمّ إنّه لا يمكن إدراك حيثيات هذه الحملة، إدراكا مليّا، إلاّ بالكشف عن أغوار هذه الشّخصية، وفهم ماهيتها في ذلك العصر.

شخصية فردريك الثاني:

ينحدر فردريك الثاني Frederic من أسرة الهوهنشتافن[2] Hohenstaufen، التي تنتمي إلى دوقية سوابيا Souabe بجنوب ألمانيا. أبوه، هنري السادس Henri VI بن فردريك بربروسا Barberousse الذي تألّق اسمه خلال الحملة الصليبية الثالثة، وأمّه، كونستانس Constance، ابنة ملك صقلية النّورماندي الشهير، روجر الثاني

Roger II، ومن ذلك، قدّر له الجمع بين فصيلتين عرقيتين، لهما دور ملحوظ في صناعة التاريخ الأوروبي الوسيط.

ولد فردريك الثاني، في السادس والعشرين من شهر ديسمبر عام 1194م، في ليزي Iesi، وهي مدينة صغيرة تقع في ماركية أنكونا Marche d'Ancône، بإيطاليا الوسطى[3]. كان مولده، حدثا مشهودا في إيطاليا، ومثارا لتنبؤات متباينة، استبشرت بعضها به خيرا، لما يحمله من أمل، ينطوي على الأمة المسيحية قاطبة، فيما رأى فيه البعض الآخر، مشأمة، تنذرُ بقدوم كوارث ماحقة على العالم كلّه.[4] وعقب وفاة أبيه هنري السادس، سبتمبر عام 1197م، بادرت أمّه بتتويجه، ملكا على صقلية، بمدينة بالرمو في يوم 17 مايو عام 1198م[5]. لكن لمّا شعرت كونستانس، بدنوّ أجلها، وإدراكاً منها للمخاطر المحدقة بابنها ومُلكه، وضعت فردريك تحت وصاية البابا أنوسنت الثالث (1198- 1216م)، حتى يبلغ أشدّه ويتولّى عرش أبيه هنري السادس. ولقاء ذلك، منحته أجرا سنويا، قدره ثلاثون ألف طارس Taris. ولمّا توفيت كونستانس في اليوم الثامن والعشرين من شهر نوفمبر، وحينئذ، عيّن البابا أربعة أساقفة، للإشراف على تربية فردريك الطّفل بمدينة بالرمو[6].

وقد وفى البابا أنوسنت بوعده، وأدّى واجبه كاملا تجاه فردريك، حيث شمله برعايته وحمايته، وَرَدَّ عنهُ كيد الطّامعين في إيطاليا وألمانيا، وضَمِنَ لهُ الصعود إلى عرشه الموعود، فتُوِّجَ ملكاً على الرّومان مرّتين بألمانيا، في ديسمبر 1212م بمدينة ماينز Mayence، وفي عام 1215م بإكس لاشابيل-آخن- Aix- La- Chapelle، وفي يوم 22 نوفمبر عام 1220م، نال فردريك تاج الإمبراطورية بمدينة روما من يدي البابا هنوريوس الثالث Honorius[7].

- "أعجوبة العالم" Stupor Mundi، ذلك هو النّعت الذي فاز به الإمبراطور فردريك الثاني، لما تميّزت به شخصيته من سيمات وسلوكات، تعتبر خارقة لواقع حضاري. ظَلَّ حبيساً لفلسفة دينية وعقلية إقطاعية مُتَحجّرتين، طبعتا العصر

الوسيط بطابعهما الخاص. ولا شكّ أنّ خصائص وطبائع آل هوهنشتاوفن، قد تمثّلت جليّا، في شخصية فردريك، حيث تجمّعت فيه جلّ المقوّمات التي تجعله حاكما كُفْؤا ومقتدرا، ومُبشّرا أيضا، بروح وصفات أمراء عصر النّهضة الأوروبية.

لقد اشتهر فردريك بتقلّب الأطوار وارتياب الطّبع، ورباطة الجأش، وشدّة البأس، كما عُرِفَ بالعناد والدّهاء والمكر والقساوة المفرطة ضدّ خصومه. ونَعِمَ في ذات الحين أيضاً، بما يناقض هذا الوجه كُلّيّةً، حيث تمتّع بشخصية ودودة، جذابة وفاتنة، كما تميّز بحكمة العقل ورقة النّفس ودماثة الأخلاق، وبلباقة ملحوظة في المعاملة[8].

– كان فردريك الثاني، مُحِبّا للعلم وَمُوقّرا لذويه، شغوفا بالشعر، فأتقن تنظيمه حتى أشاد به الشاعر الإيطالي دانتي Dante في القرن 14م، وكان أيضا، مولعا بالعلوم التّجريبية، فصار مؤلفا في هذا المجال ومُهتمّا بعالم الحيوانات، فنظّم تجارب علمية رائدة في هذا الحقل. تحوّل بلاطه في بالرمو، إلى مجمع للعلماء والأدباء، يستقدمهم من جميع الآفاق. ولمّا ترعرع في رحاب البيئة الصّقلية، تأثّر بالحضارة الإسلامية، فتشرّب من بريقها وارتوى من معين ثقافتها، حيث أجاد التّكلم باللّغة العربية وحاكى المسلمين في عاداتهم، وبَنَى صِلات سياسية وجسورا ثقافية مشهودة مع مسلمي الشّرق والغرب، ميّزت حقّا، الحقبة الصّليبية السّائدة. وقد جسّدتها بشكل ساطع، الحوارات الفلسفية التي أجراها مع العالم العربي الأندلسي الشّهير، ابن السّبعين[9].

– وعلى الرغم من نشأته في أحضان البابوية، فقد شقّ عصا طاعتها، ونظرا لأخذه بمبدإ العقلانية، فإنّه أبدى شكّا صارخا تجاه الأديان السماوية وما وعدت به من بعث وحساب وخلودٍ للروح إذ يُنكر نبوة موسى، عيسى ومحمد عليهم السلام، كما ينفي ألوهية المسيح، حيث يستبعد ولادة إله من قبل مريم وهي امرأة عذراء، فيما شُهد له بكثرة الاحترام للإسلام وإعجابه بتعاليمه، لارتباطها بالعقل والمنطق[10]. ولم يتردّد البابا جريجوري التاسع، حينما اشتدت الأزمة بينهما، في رميه بالكفر وباعتباره المسيح الدجال[11].

- ومن الجانب السياسي، فقد مُكِّنَ لهُ في الأرض وأوتي من كلّ شيء سببا، حيث انتقلت إلى فردريك، كلّ مواريث النورمان والهوهنشتاوفن، فاستوى على عرشين عظيمين صقلية وألمانيا، لا تضاهيها قوة في أوروبا وقتذاك، لكنّه أبى إلاّ أن يلقي رواسي لتنظيم داخلي، جدير بمستوى الأنظمة الحديثة، ومن ذلك لم يأل جهدا في سبيل إبراز هيبة الدّولة، فسعى على غرار أسلافه، إلى فرض نموذج الحكم المطلق، مبني على سلطة مركزية قوية وإلى إقرار نظام احتكار المواد الأولية والتجارة الخارجية، وحصر الصلاحيات التشريعية والمالية والقضائية في قبضة التاج، مع الحرص على استبدال المسيّرين الكناسيين بإطارات علمانية يتمّ تكوينها في جامعة نابلي Naples، أسّسها فردريك سنة 1224م لهذا الغرض. وهكذا، يرى بعض المؤرّخين أنّ الإمبراطور فردريك الثاني، بهذه المقومات، يمثّل مؤشرا، ينبئ بانبلاج عصر حديث، ومُبَشّرا بعهد الطغاة الذي ساد إيطاليا خلال القرنين 15 و16م[12]. وتجرّأ بعض المؤرّخين، على الاعتقاد بأحقية فردريك الثاني، في تسمية القرن 13م باسمه، كما حاز هذا الشّرف الإمبراطور الروماني أغسطس Auguste (27ق.م- 14م)، لولا المشاكل السياسية والدينية التي حالت دون إتمام إنجازاته.[13].

الأزمة بين فردريك الثاني والبابوية :

- الواقع أنّ الحملة الصليبية الخامسة التي تزعمها فردريك الثاني، تختلف كلّية عن سابقتها، لأنّ وقوعها، تمّ في ظلّ أزمة حادّة، اشتعل أوارها بين هذا الأخير والبابا، زعيم الكنيسة الغربية الكاثوليكية، أدّت إلى انقسام صفوف العالم المسيحي، شذر مذر. حقيق على أنّ للبابوية فضلا كبيرا في ظفر فردريك بعرش آل هوهنشتاوفن، إلاّ أنّها ظلّت تنظر إليه بعين، ملؤها الحذر وعدم الثّقة، إذ لم تكتم قطّ، تخوفها من التطلعات السياسية الجامحة لفردريك، الرامية إلى الجمع بين التاجين، الألماني والإيطالي- شماله وجنوبه-، ممّا يجعل أملاكها في وسط إيطاليا، بين فكي الكماشة[14]. وانضافت إلى هذه الحساسية، قضية الحملة الصليبية التي ألقت بظلالها على العلاقة بين الإمبراطورية والبابوية، حيث تمسكت هذه الأخيرة

بإصرارها على خروج فردريك الثاني في حملة عسكرية إلى بلاد الشام، مقدّرة وزنه وقوته في مثل هذا المشروع، دون مراعاة الأوضاع الدّاخلية غير المستقرّة للإمبراطورية. وفي هذا الصدد، لم يجد فردريك بُدّا من التجاوب مع هذا المطلب البابوي، إذ قدّم وعودا كثيرة بتنظيم هذه الحملة، لكن مبرّرات كان ينتحلها، تدفعه دوما إلى تأجيل انطلاقها.

ويرجع أوّل وعد له، إلى عهد البابا أنوسنت الثالث، وذلك في سنة 1215م، حينما تُوّج ملكا بمدينة إكس لاشابيل. وعندما نال تاج الإمبراطورية بمدينة روما، في نوفمبر عام 1220م، تعهّد أيضا، بتوجيه حملة صليبية إلى الشرق، يقودها شخصيا في صيف عام 1221م. وستُخفّف هذه المبادرة، دون شك، من الضيق الشديد الذي بات فيه الصليبيون الذين خرجوا في الحملة الصليبية الخامسة نحو مصر عام 1217م، بقيادة ملك بيت المقدس، حنا دي بريان Jean de Brienne. حقق فردريك وعده، فأرسل فرقتين عسكريتين إلى مدينة دمياط بمصر، لتعزيز صفوف الصليبيين بها، لكن لم تجد هذه القوة نفعا، إذ سقطت المدينة في قبضة صاحب مصر، الملك الكامل الأيوبي في يوم 19 رجب عام 618هـ/ 8 سبتمبر 1221م. وقد تأثر البابا هونوريوس أيّما تأثر بهذه الهزيمة التي كرّست فشل الحملة الصّليبية الخامسة كلّها[15]، وحمّل الإمبراطور فردريك مسؤولية هذا الإخفاق دون سواه، ثمّ هدّده بقرار الحرمان.

- وفي مجمع مدينة فيرولي بإيطاليا، جدّد فردريك، عام 1222م، تعهّده بتجهيز هذه الحملة العسكرية تكون في مستوى مقامه. ووعدا مماثلا، قدّمه عام 1223م، في مجمع مدينة فيرانتينو Férentino بإيطاليا، وتعّهد تحت طائلة القسم، بالخروج إلى بلاد الشام، وحدّد بنفسه، موعد الرحيل، بعد سنتين[16]. وفي هذا اللقاء نال البابا منه وعدا بالزواج من يولاندا Yollande (إزابيلا Isabelle)، بنت ملك بيت المقدس، حنا دي بريان، ووريثة هذا العرش في بلاد الشام، هذا حتى يحمل فؤاد فردريك، على التعلّق والاهتمام بشؤون الأراضي المقدسة في فلسطين. وتعهد

بموجب هذا الزواج، بالدفاع عن هذه الأراضي على مدى الحياة، على غرار هيئتي الداوية والإسبتارية[17]. وقد سارع فردريك إلى إتمام هذا الزواج قبل موعده، ولهذا الغرض، نظّم عرسا بهيجا بمدينة برنديزي Brindisi –جنوب إيطاليا- في يوم 9 نوفمبر عام 1225م، وفور هذا القران، حمل فردريك، لقب ملك بيت المقدس ممّا أثار استنكار البابا وحنا، على حدّ سواء[18].

- ولمّا دنا الأجل المضروب للرحيل إلى الشرق، التمس فردريك من البابا، مُجدّدا، تأجيل الحملة الموعودة إلى وقت لاحق، واستجاب هونوريوس كعادته، لهذا الطلب. وفي شهر جويلية عام 1225م، وبكنيسة مدينة سان جرمانو San Germano، بإيطاليا الجنوبية-، تعهّد فردريك، بتسيير الحملة المنتظرة، في شهر أوت من سنة 1227م. وأثناء هذه المناسبة، تمادى فردريك في إسداء الوعود، حيث أقسم بالخروج إلى بلاد الشام في يوم 15 أوت من هذه السنة، على رأس قوة، قوامها ألف فارس مع ضمان سدّ تكاليف رباطها في الأرض المقدسة لمدة سنتين، هذا، ويتمّ تعويض كلّ فارس ناقص سنويا، بقيمة مالية تقدر بخمسين ماركا Marcs، تسخّر لأغراض هذه الحملة، وأخذ على نفسه أيضا، تجهيز مائة شلندي- مركبة- وخمسين سفينة، لتمكين ألفي فارس بتجهيزهم الكامل، من العبور، في كلّ رحلة، إلى الأرض المقدسة، وللتّعبير عن حسن نيّته، تعهّد وبسخاء ملحوظ، بدفع على الفور، مائة ألف أوقية من الذهب، تسلّم له عندما تطأ قدماه أديم الشام، وفي حالة عدم الوفاء بوعده، صودرت وصرفت في خدمة الكنيسة في الأرض المقدسة. وفي ختام هذه التّعهّدات، وافق غير مكره، على قبول عقاب الحرمان الذي سينزل به إذا ما تماطل عن الخروج في هذه الحملة التي طال انتظارها من قبل المسيحيين في الغرب والشرق[19].

- وهكذا، فاز فردريك بصكّ آخر، يسمح له بتأجيل حملته ممّا يوفّر له الوقت المطلوب، للتّصدي لمشاكله الدّاخلية. ويظهر أنّه، لم يسبق لعاهل أوروبي، وأن حظي بمثل هذه المعاملة المرنة واللّينة من قبل البابوية، لكن ما كان لفردريك أن

ينعم بهذه الحظوة، لولا وجود هونوريوس على سدة الكنيسة، ويمكن تفسير تسامح هذا الأخير تجاه تماطل فردريك باعتباره كان رجلا ورعا طيّب القلب، هادئ الطبع، مسنّا ومريضا وهو أحد الكرادلة الذين تولوا تربية فردريك، فظلّ ينظر إليه كالأب الحنون، كما أنّه علّق عليه آمالا عريضة ليُنجِزَ له مشروع عمره الثمين، وهو تحرير بيت المقدس، هذا ولم يتورّع فردريك عن تبرير عدم مضيّه إلى الشرق بانشغاله بمحاربة المسلمين في جزيرة صقلية حتى يؤمّن أوضاعها، وسوّى ذلك بما يقوم به الصّليبيون في بلاد الشام[20].

- على أنّ سياسة اللين والمرونة التي مارستها البابوية تجاه فردريك، لم تستمر طويلا بعد وفاة البابا هونوريوس، ففي شهر مارس عام 1227م، تولّى عرش البابوية، أسقف اسمه جريجوري التاسع Grégoire IX. وعلى خلاف هونوريوس، وبالرغم من تقدمه في السن، فإنّه اشتهر بحدّة الطبع وكثرة الحماس وقوّة الإرادة، وقد أبدى لأوّل وهلة استعداده الكامل، لخوض صراع مفتوح ومرير مع فردريك، لإنهاء تلاعبه وإذلاله بل وكسر شوكته المتنامية نهائيا[21].

- لا شكّ أنّ انتخاب هذا الأسقف، يُنذِرُ بميلاد مرحلة جديدة بالنسبة لملف الحملة الصليبية، ذلك أنّ جريجوري التاسع، لم يكد يتربّع على عرش البابوية، حتى أوعز إلى فردريك بوجوب تنفيذ وعده الصليبي دون تريّث[22]، ولّما كانت التّحضيرات المادية والبشرية للحملة، قد اكتملت، أذِنَ فردريك بانطلاقها من برنديزي**، دون الاكتراث بما طال الصّليبيين في وسط شهر أوت، من اضطراب وويلات، جرّاء وباء استشرى بين صفوفهم بهذه المدينة. وتحت أشرافه، تحرّكت مجموعتان من هؤلاء الصليبيين في اتّجاه بلاد الشّام[23]، فيما أبحر بعدهم، الإمبراطور وحاشيته، في يوم 8 سبتمبر. لكن، بعد ثلاثة أيام- 11 سبتمبر- قفل عائدا، لينزل بميناء أوترانت Otrante، بدعوى إصابته بمرض، كاد يودي بحياته، هذا بعد أن فقد أيضا، بسبب الوباء، ساعده الأيمن، لويس الثورنجي Louis De Thuringe، أحد أمراء الألمان البارزين[24].

كان لعدول الإمبراطور عن رحلته، وقع الصاعقة على البابوية، حيث أبدَت رفضها القاطع لمبرّر المرض الذي أشهره فردريك واعتبرته تمارضا سافرا وحيلة يريد بها المخادعة لتأجيل الحملة كعادته، بل اتّهمته بتبييت النيّة للإضرار بالصّليبيين، حينما اختار ميناء برنديزي وفصل الصيف اللاّفح، موعداً لانطلاق الحملة، وردّا على هذه المماطلة، وتنفيذا لاتّفاق سان جرمانو المبرم عام 1225م، أصدر البابا جريجوري بمدينة أناني Anagni الإيطالية، قرار الحرمان ضدّ الإمبراطور فردريك، في يوم 29 سبتمبر من نفس العام أي 1227م[25].

- على أنّ فردريك، لم يلبث أن أيقن أنّه يواجه خصما عنيدا وعليه أن يأخذ المسألة بمأخذ الجدّ، ومن ثمّ سعى حثيثا لاستعطاف البابا، حيث التمس منه العذر وأظهر استعداده للتّوبة كما جدّد وعده بالخروج في الحملة الموعودة في شهر مايو المقبل. لكن جريجوري، ضرب هذا التّوسل بعرض الحائط وأصرّ على تمسّكه بقرار قطع فردريك[26]، بل جدّده وأكّده من مدينة روما بشكل علني ورسمي.

الواقع أنّ هذا الموقف البابوي المتشدّد، لا ينمّ فقط، عن رغبة البابا في معاقبة رجل نكث وعده وعاق وليه، وإنّما يستجيب لحسابات سياسية، مفادها، كبح جماح هذا الإمبراطور الذي بات يخيف البابوية جرّاء تطلّعاته الإقليمية السافرة في إيطاليا[27]. لكن في ظلّ تعنّت البابا، وتماديه في التحامل على فردريك، وخاصة بعد منعه من توجيه الحملة الصليبية وهو تحت طائلة الحرمان، قرّر هذا الأخير الدّفاع عن شخصه، ومن ذلك، راسل حكام العالم المسيحي، يشرح لهم مشكلته مع البابا ويبرئ نفسه من اتّهاماته كما كشف لهم عن الوجه الحقيقي للكنيسة، تعكسه المساوئ الجمة التي تنخر عظام هذه المؤسسة[28].

وقد شكّل هذا المنعرج في العلاقة بين فردريك وجريجوري، إيذانا بميلاد فصل جديد من الصراع بين الإمبراطورية والبابوية، تجلّت ملامحه، في حثّ فردريك، أتباعه الجبلنيين Gibelins على مهاجمة أملاك البابوية[29].

الاتّصالات بين فردريك الثاني والملك الكامل الأيوبي:

إنّ هذا النّزاع، أوقع الإمبراطور فردريك في وضع لا يحسد عليه، حيث يُهدّد بقوة استقرار عرشه العريض. لكن بينما كانت جذوة هذه الأزمة مشتعلة، أضحت عين الإمبراطورية متّجهة شطر بلاد الشّرق، تترقّب تباشير الاتّصالات الجارية مع صاحب مصر، السلطان الملك الكامل محمد الأيوبي. ولا شكّ أنّ الذي جلب أنظار فردريك إلى ساحة الشّرق، في هذه الفترة بالذّات، هو الصراع الذي احتدم بين أبناء البيت الأيوبي، ممّا هيّأ له السّبيل لبناء الصلة بالكامل ومن ذلك إيجاد موطئ قدم له غير متوقّع، ببلاد الشام.

ويبدو أنّ فردريك، قبل وقوع هذه الأزمة الأيّوبية، كان قد أظهر تعلّقا بضمان الرّوابط مع آل أيوب، وفي ذلك، ذكر بعض المؤرّخين، أنّ الإمبراطور، وجّه إلى مصر ودمشق في سنة 1215م، أحد رجال الدين صقلية وهو حنا Jean، أسقف مدينة شفلوذة Cefalu، ليلتمس من خلفاء صلاح الدين الأيّوبي تجديد العهود القائمة مع صقلية[30]. وأمّا عن النّزاع الإسلامي الدّاخلي المشار إليه، فإنّه استحكم بين أبناء الملك العادل* (615هـ/ 1199-1218م)، أخي صلاح الدين، وقد انطلقت شرارته، حينما اعتدى الملك المعظّم عيسى، صاحب دمشق، على إمارة – حماة التابعة لابن عمّه صلاح الدين قلج أرسلان، فاستولى على بعض أراضيها ممّا أثار استنكار أخويه، الملك الأشرف موسى حاكم حران والسلطان الكامل، لكن هذا الأخير، اضطرّ إلى التّدخل فأجبره على "تركها وهو حنق". وصار المُعظم بعدئذ، يناصب العداء لأخيه الكامل[31].

– على أنّ هذا الجفاء، لم يلبث أن اتّخذ منحى خطيرا، حيث لجأ الطرفان المتخاصمان إلى الاستقواء بقوى خارجية كبرى، دون تقديرهما الأبعاد التي قد تعصف بأركان العرش الأيّوبي كلّه. وفي روايته كشف الراوي بدر الدّين العيني[32]، عن تفصيل هذا الانزلاق والحماقة الأيوبية، فقال: "وفي هذه السنة 624هـ/ 1226- 1227م، حصلت الوحشة بين الملك الكامل صاحب مصر وبين

أخيه الملك المعظّم صاحب دمشق لأمور بلغت الكامل عنه فكتب الكامل إلى الانبرور (الإمبراطور) ملك الألمان بأن يحضر إلى الشام والساحل ويعطيه البيت المقدس وجميع فتوح صلاح الدين بالساحل وكتب الملك المعظّم إلى جلال الدّين خوارزم شاه يسأله أن ينجده على أخيه الكامل ويكون هو من جملة المنتمين إليه ويخطب له ويضرب له الدّنانير والدّراهم باسمه فأجابه إلى ذلك وسيّر إليه خلعة لبسها وشقّ بها مدينة دمشق وقطّع خطبة الملك الكامل...". ويتبيّن من هذه الرّواية، ارتماء السلطان في أحضان فردريك واستعداده لكسب ودّ ودعم هذا الأخير ولو على حساب مكاسب إقليمه تحقّقت بتضحيات جسام. ولكن، لبلوغ هذه الغاية، وجب على الكامل، خوض حراك دبلوماسي حثيث مع الإمبراطور الألماني. وفي هذه السنة، تحرّكت البعثات من الجانبين وتبادلا الهدايا النّفيسة، تمهيدا لبناء التّحالف المنشود. وقد قيّدت المصادر الإسلامية هذه المساعي بكثير من الفهم والإدراك والوضوح، وعن ذلك قال ابن واصل[33]: "فأرسل -الكامل- الأمير فخر الدين يوسف بن صدر الدين شيخ الشيوخ إلى الإمبراطور فردريك صاحب بلاد أنبوليه وجزيرة صقلية يطلب منه القدوم إلى عكا، ووعده أن يعطيه البيت المقدس وبعض الفتوح الناصري....

وردّ عليه الإمبراطور، بإيفاد مبعوث له إلى مصر، وهو بيراردو Berardo، رئيس أساقفة بالرمو[34]، حتى يتأكّد خاصّة من صدق نيّة الكامل وجدّيته لما يدعوه إليه[35]. وفي شهر جانفي عام 1228م، عاد السفير إلى جنوب إيطاليا، بعد أن خصّه السّلطان، باستقبال حار منقطع النّظير[36]. وقد عبّر عنه المقريزي[37] بشكل دقيق وواف حيث جاء في روايته: "وفيها وصل رسول ملك الفرنج بهديّة سنّية وتُحف غريبة إلى الملك الكامل وعدّة خيول منها فرس الملك برُكب ذهب مُرصع بجوهر فاخر فتلقّاه الكامل بالإقامات من الإسكندرية إلى القاهرة وتلقّاه بالقرب من القاهرة بنفسه وأكرمه إكراما زائدا وأنزله في دار الوزير صفيّ الدين ابن شكر". وعند مغادرته مصر، حمّله الكامل. من جهته، هدايا نفيسة للإمبراطور. قال عنها المقريزي[38]: "واهتمّ بتجهيز هديّة سنية إلى ملك الفرنج فيها من تحف

الهند واليمن والعراق والشام ومصر والعجم ما قيمته أضعاف ما سيّره وفيها سرج من الذّهب وفيها جوهر بعشرة آلاف دينار مصرية وعيّن الكامل للسير بهذه الهدية جمال الدين بن منقذ الشيزري. وحدث، أنّ سفير الإمبراطور وهو عائد إلى صقلية، عرّج على دمشق ليلتمس من المعظم البلاد التي كان فتحها عمّه صلاح الدين فأغلظ له وقال قل لصاحبك ما أنا مثل الغير ما له عندي إلاّ السيف»[39].

- لا شكّ أنّ هذا الوفاق مع الكامل، وما حمله من وعود للإمبراطور، قد بعث الأمل في نفس هذا الأخير وشجّعه على التّعجيل بالخروج إلى بلاد الشام. ولعلّ التّماطل الذي أبداه فردريك، مردّه، هو الانتظار إلى ما ستؤول إليه هذه المساعي[40]. وأمّا البابوية، فالأرجح أنّه، لم يبلغها شيء من صدى هذه المفاوضات، ولو كان الأمر، غير ذلك، لصاحت ونددت بالخيانة الكبرى[41].

انطلاق حملة فردريك الثاني نحو بلاد الشام وعلاقته بالكامل:

ولمّا تأكّدت ضمانات الكامل، عقد فردريك العزم على الخروج إلى بلاد الشام وهو يدرك بحنكته ودهائه، ما تنطوي عليه هذه المبادرة من مخاطرة وتهديد لعرشه العتيد، لأنّ البابا جريجوري، رفض بشكل بات انطلاق الحملة وقرار الحرمان جاثم على قائدها[42]. وفي ظلّ هذه الأزمة الطاحنة مع البابوية، سيّر فردريك إلى بلاد الشام في ربيع عام 1228م، قوة عسكرية، قدّرت بحوالي خمسمائة فارس، ثمّ تبعهم في يوم 28 جوان من نفس العام، حيث أبحر في سرية كاملة من ميناء برنديزي ومعه ثلّة من كبار معاونيه، في أسطول قوامه أربعون مركبا، يقوده أمير البحر الشهير هنري المالطي Henri de Malte[43]. وستضاف هذه القوة إلى الحشود الصليبية التي سبق أن أرسلها فردريك عام 1227م المنصرم، ولم يبق منها سوى حوالي ثمانمائة فارس وعشرة آلاف من المحاربين الراجلين[44]. وظلّت هذه الجموع، مرابطة في ساحل الشام (كَعَكا وصور)، دون أن تحقّق أيّ إنجاز عسكري، بسبب وقوف الملك المعظم، حجر عثرة في وجه ذلك[45].

- وفي اليوم السابع من شهر سبتمبر، نزل فردريك بميناء عكا[46]، يحدوه الأمل في تحقيق الغاية المرجوّة من هذه الحملة، وهي تعزيز التّحالف مع الملك الكامل ودعمه ضدّ خصومه ثمّ الظّفر بموجب ذلك، بالبيت المقدّس وفق العهد الذي أقطعه إيّاه السلطان[47]. غير أنّه فوجئ بما وقع من تطوّرات سياسية في أرض الشام، إذ حدث أن توفي الملك المعظّم صاحب دمشق، في شهر ذي القعدة عام 625هـ/ 11- 12 نوفمبر 1227م، وحلّ محلّه ابنه النّاصر داود وهو في عنفوان شبابه. وعلى عكس أبيه، اشتهر داود، بانغماسه في الملذات وقلة خبرته السياسية وكذا بعُزوفه عن الاهتمام بشؤون الدّولة والرّعية. وقد اغتنم الكامل هذه الفرصة للإجهاز على أملاكه، فاستولى على بعض أعمال دمشق في صيف عام 625هـ/ 1228م، كبيت المقدس ونابلس في فلسطين[48]. ولما حقق الكامل هذا الفوز وتحول ميزان القوة ببلاد الشام، في صالحه، ارتأى له بأن مبرّر استقدام فردريك قد انتهى وأفل، فسوّلت له نفسه عندئذ، التّراجع عما التزم به تجاه الإمبراطور[49] الذي أضحى في نظره، عنصرا مزعجا وغير مرغوب فيه[50]. وأكّد أبو الفداء[51]، هذه الحقيقة عندما قال: "وفيها - سنة 625هـ/ 1228م- قدم الإمبراطور إلى عكّا بمجموعه وكان الملك الكامل قد أرسل إليه فخر الدين بن الشيخ يستدعيه إلى قصد الشام بسبب أخيه المعظّم فوصل الإمبراطور وقد مات المعظّم فنشب به للملك الكامل".

- لا شكّ أنّ هذا الموقف المفاجئ للكامل، قد وضع فردريك في موقف مزر لا يبعث على الارتياح، لكن ما زاد لوضعه حرجا وتعقيدا، هو تدعيات الحرمان البابوي التي جعلت الصّليبيين في بلاد الشام، يبدون تحفّظا شديدا تجاه حملته، هذا ولم يتورّع جريجوري التاسع، عن ملاحقة فردريك إلى ساحة الشّرق، حيث أوفد مبعوثيه، لإقناع الصليبيين بعدم الانصياع لأوامره وتجنّب التّعامل والتّعاون مع قائد مقطوع من رحمة الكنيسة[52]. على أنّ هذه التّحديات كلّها في الواقع، لم تثن من عزيمة فردريك على المُضي قدما للمطالبة باسترجاع بيت المقدس من السلطان الكامل كما وعده بذلك، لأنّه يدرك يقينا، أنّ عودته إلى أوروبا، يخُفّيْ حنين، غير مقبولة إطلاقا، وأنّ نجاح هذه

الحملة سيُقرّر حتما مصير تاجه في غرب أوروبا كما سيحسم لصالحه، خلافه المزمن مع البابوية[53]. وقد أفصح فردريك عن هذا الشعور، حينما صرّح لممثل الكامل أنّه لولا خوفه من انكسار جاهه ما كلّف السلطان شيئا من ذلك وأنّه ما له غرض في القدس ولا غيره وإنّما قصد حفظ ناموسه عند الفرنج[54].

- وهكذا، تشبّث فردريك بما جرى مع الكامل من اتّفاق مُسبق، وعليه، سارع إثر وصوله إلى مدينة عكّا، إلى إيفاد سفيرين إلى السلطان الكامل، هما، باليان Balian، صاحب مدينة صيدا والكونت توماس الأكويني Thomas D'Aquin، ممثله في بلاد الشام، وحمّلهما هدايا نفيسة تعبيراً عن نزعته السلمية وصداقته له، منها روائع نادرة من مصنوعات الفرو وأسلحة ألمانية وكذا مجموعة من الخيول القتالية وضمنها فرس الإمبراطور وعُدّته الفاخرة ومعها سيفه الشّخصي. كانت مهمة هذه الوفادة، هي إبلاغ الكامل بواجب تنفيذ وعوده المتعلّقة بتسليم فتوحات صلاح الدين له[55]، وتمكين الإمبراطور من حماية حقوق ابنه كونراد Conrad، الوريث الشّرعي لعرش بيت المقدس مع التأكيد على الطابع السلمي والودي لهذه الرّحلة[56]. وعلى الرّغم من قرار الكامل، بطيّ صفحة هذه القضية وخاصّة بعد أن توطّد مركزه في بلاد الشام، فإنّ هذه السفارة حظيت باستقبال حار وروائع من لدنه في تل العجول، قرب مدينة نابلس[57]، لكن دون أن يُخفي الاضطراب الذي انتابه جرّاء هذا الطّلب، وعن هذا الموقف جاء في رواية المقريزي: "فتحيّر الملك الكامل ولم يمكنه دفعه ولا محاربته لما كان تقدّم بينهما من الائتلاف فرأى سلمه ولاطفه"[58]. ويتّضح من هذا النّص، أنّ الكامل اختار نهج المسالمة والمهادنة مع فردريك لكن مع عدم الاستجابة لطلبه قطّ لما للمسألة من حساسية خطيرة عند المسلمين[59]، ثم، واقتداء به، أهدى للإمبراطور، مجموعة من الهدايا ذات قيمة عالية، نقلها إليه الأمير فخر الدين، تتضمّن "منسوجات حريرية، وأواني ذهبية وفضية، ومجوهرات نفيسة، وسربا من الحيوانات النّادرة منها الفيل والدّب والقردة وعشرة من الجمال وعشر إناث من البغال العربية، ومقتنيات أخرى رائعة غير مألوفة في أوروبا"[60].

- الواقع أنّ تبادل هذه العطايا الجزيلة، قد أدى إلى تلطيف أجواء العلاقة بين العاهلين، ومهّد لتدشين فصل جديد من المفاوضات بينهما، ميّز بصبغته الخاصة، إحدى محطات الصراع الصليبي الإسلامي في العصر الوسيط. وليس هناك من شك أن هذه المفاوضات شكّلت امتحانا عسيرا وعملية سياسية صعبة بالنسبة للطرفين، ودلّت المصادر الإسلامية على هذه الخصوصية، حينما كشفت عمّا ساد هذا الحوار من حركية دؤوبة امتد أمدها بشكل ملحوظ، حيث ورد عن ابن واصل، أن "الإمبراطور لم يزل بعكا، والرسل مترددة بينه وبين الملك الكامل إلى أن خرجت هذه السنة (625هـ/ 1228م)، وأطماعه متعلقة بما استقر بينه وبين الملك الكامل أولا قبل موت الملك الأعظم". ويؤكد المقريزي هذا الواقع أيضا بقوله "وخرجت السنة - 625 هـ- والكامل على تل العجول وملك الفرنج بعكا والرسل تتردد بينهما. وفي أثناء ذلك كثر تردد الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ والشريف شمس الدين الأرمَويّ قاضي العسكر بين الكامل وبين الإمبراطور فردريك ملك الفرنج..."[61]، وإذا كان هذا التردد يُجسد فعلا التعثّر الذي انتاب هذه المفاوضات، غير أنه يعبر أيضا عن إصرار فردريك على تحقيق مبتغاه بأسلوب الديبلوماسية، حيث أبى أن يرجع إلى بلاده إلا بما وقع الشرط عليه من تسليم القدس إليه، وبعض الفتوح الصلاحي..."[62].

ويبدو أن الكامل الذي أبى تسليم كل ذلك إليه[63]، قد تعمد هذه المطاولة ابتغاء كسب الوقت وممارسة مزيد من الضغوط على فردريك، إذ بات يترقب مآل الحصار الذي ضربته قواته على مدينة دمشق، معقل الأمير الناصر داود بن المعظم، لما لسقوطها من انعكاس مؤثر، من شأنه يعزز مركزه قبل الإقدام على إبرام أي اتفاق مع الإمبراطور[64]. على أنّ ما شجّع الكامل في الحقيقة، على هذا التّماطل، ضعف قوة الإمبراطور العسكرية[65] والأزمة الدائرة بين هذا الأخير وبين البابوية والإمبراطورية وحالة الفرقة والشقاق التي تسود صفوف الصليبين جرّاء قرار الحرمان الذي يسرى على فردريك وكذا سعى البابا الحثيث، لثنيه عن قبول الصلح مع الإمبراطور، لأن جريجوري التاسع يدرك جيّدا، أن استرجاع هذا

الأخير لبيت المقدس، سيمثل صفعة موجعة له وسيفسره المسيحيون المعاصرون، على أنه انتصار مؤزّر من الله لفردريك المظلوم[66].

والواقع أن هذه المناورة، لم تخف عن حساب فردريك، ومن ذلك، وطّد العزم على استظهار قوته العسكرية علّها تكون وسيلة ضغط، تدفع الكامل إلى تليين موقفه تجاه مطالبه. وتنفيذا لهذه الخطة، زحفت قواته صوب مدينة يافا القريبة من نابلس، وفي يوم 15 نوفمبر 1228م دخلها وشرع في تحصين أسوارها[67]. لكن هذه الخطوة، لم تغيّر قيد أنملة من موقف الكامل المتشدّد بل أقدم السلطان على وقف المفاوضات مع فردريك، متّهماً جنوده بغزو بعض القرى الإسلامية ونهبها، واشترط على الإمبراطور إصلاح هذا الشطط، بدفع تعويضات عن الخسائر كي يعود الحوار إلى مجراه السابق[68]. هذا ولم يلبث أن تعرضت معنويات الإمبراطور لضربة قاصمة، حيث بلغته أخبار من صقلية، تفيد بأن البابا وبمساعدة حنا دى بريان، قد نجح في إثارة حركة العصيان ضده واستباح ممتلكاته كما أشاع نبأ وفاته مما يُجيز له تولى الوصاية على عرشه[69].

إن هذه الأنباء التي لم يغفل عنها الكامل دون شك، قد زادت من وضعية فردريك تعقيدًا وحرجا في بلاد الشام، إذا كان على هذا الأخير، أن يستعجل عودته إلى أراضيه حتى يُواجه المستجدات الخطيرة التي فرضتها البابوية عليه، لكنه يدرك يقينا، أنّ مبارحته للشرق، مرتبطة أساسا بما سيفتكّه من الكامل، من مكاسب إقليمية وهو الضمان القاطع الذي سيُرجع له اعتبارهُ ويدمغ به أعداءه في الغرب. وفي ظل هذه الظروف الحالكة التي أمسى فيها فردريك وتمسك الكامل بموقفه الرافض للتنازل الموعود به، اهتدى الإمبراطور إلى سبيل التوسل والاستعطاف، علّه يثير شفقة ورأفة الكامل فينزل عند رغبته[70]. وفي إطار هذا المسعى، ظهر فردريك بمظهر الذلّ والمسكنة، حتى رُوي أنه كان يجهش بكاء من الغيض والألم حتى ساورته فكرة الانكفاء إلى صقلية[71].

وقد أورد المؤرّخ الحافظ الذهبي[72]، خطابا، بعث به فردريك إلى الكامل، يُعدّ تعبيرا صادقا عن المأزق وحالة الإحباط النفسي اللذين أضحى فيهما الإمبراطور، حيث جاء فيه: " أنا عتيقك وأسيرُك وأنت تعلم أنّي أكبر ملوك البحر وأنت كاتبتني بالمجيء، وقد علم البابا وسائرُ ملوك البحر باهتمامي وطلوعي، فإنْ أنا رجعت خائبا، انكسرت حرمتي بينهم، وهذه القدس فهي أصل اعتقادهم وحجّتهم، والمسلمون قد أخربوها، وليس لها دَخْلٌ طائل، فإن رأى السلطانُ-أعزّه الله- أن يُنْعِمَ عليَّ بقصبةِ البلدِ، والزيادة تكون صدقة منه، وترتفعُ رأسي بين الملوك، وإن شاء السلطان أن يكشف عن محصولها، وأحمل أنا مقدارَه إلى خزانته فعلتْ". فلما سَمِعَ الكاملُ ذلك، مالت نفسه وجاوبه أجوبةً مُغلَّظة والمعنى فيها نعمْ. وفي رواية ثانية، كتب هذا المؤلّف[73]: ليرتفع رأسي بين الملوك وأنا ألتزمُ بحمل دخلها لك. فلان له الكاملُ وجاوبه أجوبةً غليظةً، وباطنها نعمْ.

ويُفهم من مضمون هذين النصين، أن أسلوب الاستعطاف قد حقّق لفردريك مبتغاه، حيث جنح الكامل إلى السلام وقَبِل بجميع مطالب الإمبراطور. لكن الغلظة التي اكتنفت هذه الإجابة، تدفع إلى الاعتقاد بخلوها من الصدق والجديّة، ويُلمس ذلك من خلال الارتياب الذي تملّك الإمبراطور، حيث لم يلبث أن مال إلى لغة السلاح، فأخبر الكامل باستعداده التّام للزحف عليه عسكريا[74].

ولعلّ هذه الهبّة التي لا تستند على قوة عسكرية ضاربة، إنما تنمّ عن دراية دقيقة لوضعية الكامل التي لم تكن في الأصل مريحة. والملك الكامل يعي يقينا، أن وضعه حساس، لا يعصمه من الخطر، إذ لزم عليه مواجهة التهديدات من عدة جبهات كي يستقرّ سلطانه، فكان عليه، التعامل بشدة وحزم مع مدينة دمشق التي عصى عليه فتحها، ثم أن صاحبها ابن أخيه، الناصر دَاود وفي عمل جريء، زحف بجيشه على مدينة نابلس لحرمان عمه الكامل من التموين، هذا دون أن يتورّع عن الاستغاثة بجلال الدين خوارزم شاه الذي أخذت أنظاره ترنو نحو الأراضي الإسلامية بغرب آسيا. وأما تجاه الصليبيين، فإنّ الكامل، لم يخف قلقه إزاء أي تحالف لهم مع فردريك

والذي سيعجزه حتما عن التصدى له في الظرف الراهن. وعن هذا التوجّس قال المقريزي: "وذلك أن الكامل تقعّط مع ملك الفرنج وخاف من غائلته عجزا عن مقاومته". ويتبيّن من خلال هذا المشهد السياسي والعسكري، وقوع الكامل بين أطراف عدائية ثلاثة، لا ترحم الصّليبيين والناصر الداود وقوة الخوارمية[75].

صلح يافا وتداعياته :

وفي ظل هذه المستجدات، أيقن الكامل أنه من الحكمة بمكان التجاوب مع مطالب فردريك وإنهاء المفاوضات التي طال أمدها، بما يضمن السلام بينه وبين الصليبيين. وبعد أن أعطى موافقته، أبرمت معاهدة صلح بمدينة يافا، بين فردريك وممثلي السلطان، فخر الدين وصلاح الدين الإربلي وذلك في 28 ربيع الأوّل عام 626هـ/ 18 فبراير 1229م[76].

وقبل الخوض في الحديث عن مضمون هذا الصلح، ينبغي التنويه بالدور البارز والحاسم الذي لعبه الأمير فخر الدين بن الشيخ، في تحقيق هذا الإنجاز، ويرجع سبب ذلك إلى علاقته المتميّزة بفردريك، حيث نشأت بينهما ألفة وصداقة ألقتا بظلالهما على كل مراحل المفاوضات. كان فخر الدين الموسوم بثقافته المتنوعة الواسعة، كثير الإعجاب والانبهار بالإمبراطور الذي يشاركه هذه الصفة، ولا شكّ أنّه سعى دون هوادة، لتحسين صورة فردريك لدى الكامل ولإقناعه أيضا، بضرورة التوصل إلى هذا الاتفاق. ولم يبخل فخر الدين، فردريك، بصدقه وإخلاصه ونصائحه، إذ يُروى أن في إحدى مراحل انسداد المفاوضات، أوْحى إليه، حتى يبلغ غايته، بوجوب استبدال سفيره وهو مُوثّق، لأنّه لم يعد محلّ رضا السلطان[77].

لقد نصّت هذه المعاهدة المشهورة "باتفاقية يافا"، على إقرار الهدنة بين الطرفين، مُدّتها عشرُ سنوات وخمسة أشهر وأربعون ليلة[78]، وبموجبها، تعهّد فردريك بعدم غزو أراضي الكامل أو تقديم المساعدة لأعدائه وبالسعي إلى إبعاد أي شر يهدّد ملكه، ووفق رواية متى الباريسي، فإن الكامل وعده بمثل ذلك[79]. ونال الإمبراطور بمقتضاها، بيت المقدس وبيت لحم والناصرة مع حصن مونتفورت

وتبنين وصيدا ومُلحقاتها، هذا فضلا عن شريط من الأراضي يربط بيت المقدس بيافا على البحر، مرورا بالد، وكل الخط الساحلي الممتد من صيدا شمالا إلى يافا جنوبا. ويُسمح للصليبيين بتحصين هذه المواقع وترميم ما تهدّم منها، ما عدا القدس التي أُفرد لها وضع خاص، حيث اشتُرط على فردريك أن يُبقيها على ما هي من الخراب ولا يجدّد سورها وأن يكون سائر قرى القدس للمسلمين لا حكم فيها للفرنج وأن الحرم بما حواه من الصخرة والمسجد الأقصى يكون بأيدي المسلمين لا يدخله الفرنج إلاّ للزيارة فقط ويتولّاه قوم المسلمين ويقيمون فيه شعائر الإسلام من الأذان والصلاة[80].

وقضت الاتفاقية أيضا، على تبادل الأسرى دون فدية وخاصة الذين قُبض عليهم عند استرجاع السّلطان لمدينة دمياط عام 1221م[81]، كما وافق الكامل على الامتناع، طيلة هذه الهدنة، عن تشييد تحصينات جديدة أو إعادة بناء ما تعرض منها للخراب[82]، هذا، واستثنيت من إطار هذه الهدنة، إمارة أنطاكية وكونتية طرابلس الغرب وحصني الأكراد والمرقب بشمال الشام[83].

والتزاما بالاتفاقية، نُودي بالقدس بخروج المسلمين منه وتسليمه إلى الفرنج في ربيع الآخر من سنة 626هـ ما عدا من قبة الصخرة والمسجد الأقصى[84]. وفي يوم السبت 17 مارس سنة 1229م، دخل فردريك، مدينة القدس ظافرا، ليُجسِّد بذلك نبوءة قديمة، تبشر بفتح "أورشليم" على يدي ملك قلورية. وفي اليوم التالي، الأحد، وبكنيسة القيامة Sépulcre s[t]، توّج نفسه ملكا على بيت المقدس بعد أن وضع التاج بنفسه على رأسه. وقد غاب عن هذه المراسيم، جيرولد Gerold، بطريرك القدس، الذي سبق له أن ضرب المدينة كلّها بقرار الحرمان إذا ما غامر سُكانها باستقبال الإمبراطور المحروم. وأما البابا جريجوري التاسع، فإنّه اشمعطّ ممّا حازه فردريك جرّاء هذا الاتفاق، حيث رفض الاعتراف به، طالما تحقق تحت إمرة قائد مطرود من حظيرة الكنيسة وبما أنه أيضا، فرّط في المسجد الأقصى الذي أبقاه في حوزة المسلمين[85].

وفي الأوساط الإسلامية، أثارت هذه الاتفاقية، حزنا عميقا واستنكارا واسعا لما أبداه الكامل من تنازلات مجانية للصليبيين. وقد ورد عن بدر الدين العيني[86] ما يصوّر هذا المصاب الجلل، فقال: "فخرج المسلمون – من القدس- ووقع فيهم الضجيج والبكاء وحزنوا على خروجه من أيديهم وأنكروا على الكامل هذا الفعل واستشنعوه ورثوا القدس بأبيات منها:

عزيـــــز علينـــــا أن نـــــرى القـــــدس يُخـــــربُ

وشمـــــــس مبـــــــانيه تـــــــزول وتغـــــــربُ

وقلـــــــت لـــــــهَ منـــــــا الـــــــدموع لأنّـــــــه

علـــــــى مثلـــــــه تجـــــــري الـــــــدموع وتســـــــكبُ

وعبّر سبط بن الجوزي[87] عن هذه النكسة الأليمة، أثناء مجلس وعظ نظّمه بجامع دمشق بأمر من الناصر داود، فقال: "يا خجلة ملوك المسلمين لمثل هذه الحادثة تسكب العبرات لمثلها تنقطع القلوب من الزفرات لمثلها تعظم الحسرات".

وفي ظل هذا السخط العارم، "سيّر الكامل جمال الدين الكاتب الأشرف إلى البلاد الشرقية وإلى الخليفة – العباسي- في تسكين قلوب الناس وتطمين خواطرهم من انزعاجهم لأخذ الفرنج القدس"[88].

وحتى يدرأ الكامل عن نفسه غائلة اللوم، "صار يقول أنا لو نسمح للفرنج إلا بكنائس وأدر خراب والمسجد على حاله وشعار الإسلام قائم ووالي المسلمين متحكّم في الأعمال والضياع"[89]. وأما فردريك، فإنه قدّر الضرر الذي سبّبه للكامل ومن ذلك "اعتذر للأمير فخر الدين بأنه لولا أنه يخاف انكسار جاهه ما كلّف السلطان شيئا من ذلك"[90].

نشاط فردريك الثاني في بيت المقدس:

وفي بيت المقدس، نزل فردريك ببيت العالم شمس الدين، قاضي نابلس، الذي سلّم له باسم السلطان الكامل، هذه المدينة[91]. وكان الإمبراطور قد أبدى رغبته في زيارة هذه المدينة، وَسُجلت له من السلوكات المثيرة أثناءها، ما جعل الكتاب المسلمين، يَعدونها من قبيل العجائب[92]. وقد روى ابن واصل، وهو معاصر لهذه الوقائع، أنه "لما تم أمر الهدنة استأذن الإمبراطور السلطان في زيارة القدس فأذن له، وتقدم السلطان إلى القاضي شمس الدين قاضي نابلس... أن يلازم خدمة الإمبراطور إلى أن يزور القدس ويرجع إلى عكا. فحكى لي شمس الدين -رحمه الله- قال: لما قدم الإمبراطور القدس لازمته كما أمرني السلطان الملك الكامل، ودخلت معه إلى الحرم الشريف فرأى فيه المزارات. ثم دخلت معه إلى المسجد الأقصى فأعجبته عمارته وعمارة قبة الصخرة المقدسة. ولما وصل إلى محراب الأقصى أعجبه حسنه وحسن المنبر، وصعد في درجة إلى أعلاه، ثم نزل وأخذ بيدي وخرجنا من الأقصى، فرأى قسيسا وبيده الإنجيل، وهو يريد دخول الأقصى فصاح عليه صيحة منكرة وقال: "ما الذي أتى بك إلى ها هنا، والله لئن عاد أحد منكم يدخل إلى ها هنا بغير إذني لآخذن ما في عينيه، نحن مماليك هذا السلطان الملك الكامل وعبيده، وإنما تصدق علي وعليكم بهذه الكنائس على سبيل الإنعام منه، ولا يتعدى أحد منهم طوره"[93].

ومما روى أيضا عن الإمبراطور، أنه لما لاحظ امتناع المؤذنين عن إقامة الأذان، سأل القاضي عن سبب هذا التوقف فأجاب: "أن المملوك منعهم من ذلك إعظامًا للملك واحتراما له"، فقال له: "أخطأت فيما فعلت، والله إنه أكثر غرض من المبيت في القدس أن أسمع أذان المؤذنين وتسبيحهم بالليل"[94]. وورد عن ابن الجوزي[95]، أن القاضي نسي تنفيذ وصية السلطان، ولما حلّ وقت السحر من تلك الليلة، صعد المؤذن عبد الكريم، فأخذ يقرأ الآيات التي تختصّ بالنصارى كقوله تعالى: "ما اتخذ الله من ولد" وذلك عيسى بن مريم" ونحوها، وفي الليلة الثانية، توقف المؤذن عن أدائه تلبية

لأمر السلطان، فلما علم الإمبراطور ذلك عاتب القاضي بقوله: "أخطأتم يا قاض تغيرون أنتم شعاركم وشرعكم ودينكم لأجلي فلو كنتم عندي في بلادي هل كنت أبطل ضرب الناقوس لأجلكم الله الله لا تفعلوا أول ما تنقصون عندنا ثم فرق في القوام والمؤذنين والمجاورين جملة أعطى كل واحد عشرة دنانير".

- وكان لهذا النّشاط، وقعه الكبير على المسلمين والمسيحيين على حد سواء، حيث استبدّ بهم التعجب والدّهشة ممّا صدر عن فردريك من سلوكات مُتميّزة، لا يمكن إلاّ أن تثير شكوك المعاصرين حول معتقده الحقيقي، "فقيل إنّه كان دهريا، وإنّما كان يتلاعب بالنّصرانية"[96]. وما شدّ أكثر، انتباه أهالي القدس وزادهم اندهاشا هو الحاشية الإسلامية المرافقة للإمبراطور والتي أضفت طابعا خاصا على موكبه بفضل حركاتهم وممارساتهم. وعبّر ابن الجوزي[97] عن هذا المشهد الشاذ حقا، فقال: "ولمّا دخل وقت الظّهر وأذن المؤذن قام جميع من معه من الفراشين والغلمان ومعلّمه وكان من صقلية يقرأ عليه فصولا فصلّوا وكانوا مسلمين". وعند ابن يبك الدواداري[98]، جاء: "ولمّا أتى وقت الظّهر أذن المؤذنون، فقام هو ومن كان معه من جماعته، فصلوا".

عودة فردريك الثاني إلى إيطاليا:

الواقع أنّ هذا الحراك كلّه، لم يدم سوى ليلتين وعاد "الإمبراطور" إلى يافا بعد أن أحسن إلى أهل القدس ولم يُغيّر من شعائر الإسلام شيئا[99]. ومن يافا توجّه إلى عكا وبها أوكل مهمّة إدارة شؤون المملكة لنائبين، باليان سيد صيدا وجارنييه الألماني. وفي غرّة شهر مايو، أبحر فردريك عائدا إلى أراضيه الإيطالية التي باتت تعيش على وقع الثورة التي أشعلت البابوية لهيبها. وفي يوم 10 جوان نزل بميناء برنديزي، وعندئذ شرع في إخماد التّمرّد وبمساعدة فرقه الإسلامية والألمانية، نجح الإمبراطور في استعادة زمام الحكم وفرض السلام على البابوية من خلال صلح أبرم بينهما في 09 جويلية عام 1230م بمدينة سان جرمانو، وبموجبه رُفع قرار الحرمان عن فردريك في يوم 28 أوت بمدينة تشبرانو الإيطالية[100].

أبعاد حملة فردريك الثاني على بلاد الشّام:

وهكذا تُوّجت حملة فردريك على بلاد الشام، بنجاح باهر وكامل دون أن يتحمّل عناء عسكريا أو يفقد محاربا واحدا، وحققت له من الإنجازات ما لم تقدر على نيلها الحشود العسكرية الصليبية سالفا ولاحقا. وعلى خلاف سابقاتها، اتّسمت هذه الحملة بالطّابع السلمي، اتّخذ فردريك أثناءها، أسلوب الدّبلوماسية بدلا من قوة النار والحديد. ولعلّ كلّ المؤشرات تدلّ على نأيه عن النّهج العسكري لبلوغ أهداف الحملة، حيث خرج معاديا للبابوية على رأس فئة قليلة من جنوده، قدّرها البطريرك جيرولد، من باب التهويل وتهييج الرأي المسيحي، بأربعين فارسا، كما اصطحب معه حاشيته الإسلامية ومعها أستاذه في علم المنطق، هذا وعوّل كثيرا في هذه المغامرة، على معرفته الجيّدة للغة العربية وعلى ما تحتويه قريحته من ثقافة شرقية وغربية واسعة[101].

- ولا شكّ أنّ اتفاقية يافا، تُعد فوزا دبلوماسيا ساطعا لفردريك، إلاّ أنّها لم ترَ النور إلاّ بعد أن جرت بين الطّرفين، مفاوضات عسيرة وطويلة، مورِسَ خلالها، كلّ ما اشتهر به فنّ الدبلوماسية من ألوان المراوغة والتّملّق والمساومة والنّفاق[102]، ناهيك عن الكتمان الشّديد الذي غشي جلسات الحوار، تلافيا لردود الأفعال الخارجية ممّا جعل من الصّعوبة بمكان، العثور على النسخة الأصلية للمعاهدة التي تتضمّن كلّ بنودها[103].

ومن الغرائب التي شابت هذه المفاوضات، دخول فردريك والسلطان في حوارات ومناظرات فلسفية، هذا على الرغم من حساسية الظرف وخطورة الحراك بالنسبة للطّرفين. وعن هذه الحلقة، قال ابن واصل: "وكانت تجري بينهما محاورات في أشياء شتّى، وسيّر الإمبرطور إلى الملك الكامل في أثناء ذلك مسائل حكمية ومسائل هندسية ورياضية مشكلة، ليمتحن بها من عنده من الفضلاء"[104]. إنّ مثل هذه الأجواء الودية والحميمية، توحي بحتمية التوصل إلى مخرج سلمي لهذه المفاوضات وخاصة أنّ فردريك، بنى شعاره على أساس أنّه لم يأت إلى بلاد الشام لفرض مطالبه وإنّما لينال

ما سينعم به عليه السلطان من امتيازات وأفضال[105] والتي سبق أن وعده بها. والواقع أنّ هذا الموقف ينزع عن حملته، طابعها الصليبي ويمسحها بصبغة سياسية بحتة، همّه الوحيد فيها، هو مصلحة الإمبراطورية فقط[106].

- الواقع أنّ نجاح مساعي فردريك الدّبلوماسية، ما كان له أن يتجسّد لولا الاستجابة الفردية للكامل لرغبات فردريك. ولا شكّ أنّ لشخصية السلطان دورا ملحوظا في تجاوبه مع تطلّعات فردريك، حيث اشتهر بحبّه للعلم وتقديره لذويه كما تميّز بالحزم وبالحكمة السياسية، والمرونة الدّبلوماسية، وهذه السيمات كلّها، تضعه في منزلة واحدة مع الإمبراطور، ممّا جعل التّلاقي بينهما، أمرا مقضيا[107]. وقد شهد له بموقفه السّياسي الجريء حينما عرض على الصليبيين، أثناء الحملة الصّليبية الخامسة، التّنازل عن بيت المقدس، لقاء استرجاع مدينة دمياط[108]. ولا يمكن في هذا الصّدد، حجب دور المفاوض الكبير، المحنك الأريب، ابن شيخ الشيوخ، فخر الدين الذي له اليد الطولى فيما انتهت إليه هذه المفاوضات، إذ لم يُخف قطّ انبهاره "بأعجوبة الدنيا" فردريك بل فتن به فتونا، ومن ذلك لم تغمض له أجفان في سبيل إنقاذ المساعي الدّبلوماسية لصالح الإمبراطور. وقد اعترف له هذا الأخير بمثل هذا الفضل وشكر له ذلك حيث بادر بتكريسه فارسا وسمح له أيضا بحمل رسم "الصقر الإمبراطوري" على ردائه، علما بأنّ هذا الحيوان يُجسّد رمزا لقوة وعظمة الإمبراطورية الجرمانية، لا يُمنح إلاّ لأصحاب الحظوة عنده[109].

- وإلى جانب المكاسب الإقليمية، شقّت هذه الاتّفاقية للإمبراطور، الطريق نحو ذروة المجد حيث سمحت له بتتويج نفسه ملكا في منبت العقيدة المسيحية. وعندما وضع التاج بنفسه على رأسه، إنّما أراد توجيه رسالة قوية للبابوية والعالم المسيحي قاطبة، ليؤكد أنّ ملكه تلقاه من الله مباشرة دون وساطة أي إنسان وبالتالي لا تعلو عليه سلطة رمنية كانت أم روحية. ويشكّل هذا التّكريس الرابع قمة السؤدد بالنسبة لشخصية فردريك والإمبراطورية المسيحية على حد سواء، كما أوجد هذا التّتويج نموذج حكم جديد، يتّحد فيه الشرق مع الغرب من خلال شخص

الإمبراطور[110]. هذا ومكّنته هذه المعاهدة أيضا من تجسيد حلم، لم يتسنّ لأسلافه الأباطرة الجرمان تحقيقه وهو شرف الدّخول إلى بيت المقدس، كما أتاحت له الفرصة من جهة أخرى، لربط الاتّصال بمنابع الحضارة الإسلامية التي ارتوى من معينها في أرض صقلية[111]، وأدت كذلك إلى تعزيز أوشاج العلاقة مع السلطان الكامل، حيث ظلّ مصافيا له إلى أن توفي عام 636هـ/ 1238م[112].

الخاتمة:

وهكذا تبقى الحملة الصّليبية السادسة، محطّة فريدة في تاريخ الحركة الصليبية الطويل. ذلك أنّها تميّزت بتميّز قائدها، الإمبراطور فردريك الثاني، الذي تمكّن من فرض نجاحه رغم العقبات الكأداء التي اعترضته في الغرب قبل الشّرق. ودلّ هذا العرض، على أنّ هذا الفوز لم يُنجز بقوة السلاح وإنّما جاء ثمرة لمنهج الحوار والتّفاوض الذي أصرّ عليه فردريك إلى نهاية المطاف. وما حقّقه بهذا الأسلوب من نتائج رائعة أثلجت صدور العارفين بالسياسة، عجزت عن حيازتها جحافل الصليبيين المدّجّجة. وعلى ضوء هذه الحقائق كلّها، ليس هناك غضاضة، إذا قيل أنّ حملة فردريك على بلاد الشام، هي رحلة دبلوماسية بامتياز.

هوامش:

(1) أحصى المؤرّخون، ثماني حملات صليبية بارزة. تحرّكت الأولى عام 1096م، والثانية عام 1047م، والثالثة عام 1189م، والرّابعة عام 1202م، والخامسة عام 1217م، والسابعة عام 1248م، والثامنة عام 1270م، وجهت ضدّ تونس تحت إمرة الملك الفرنسي، لويس التاسع والمعروف باسم القديس لويس Saint - Louis.

(2) استمدّت اسمها من قصر عرف بهذا الاسم Hohenstaufen في جنوب ألمانيا، ويُختصرُ أحيانا في مصطلح شتاوفن Staufen. تُسمّى هذه الأسرة أيضا، باسم وايبليجن Waibligen. عن تاريخ هذه الأسرة، ارجع إلى: Pacault (Marcel), Frédéric Barberousse, Les Grandes Etudes Historiques, Fayard, Paris. 1969.

(3) انظر: Kantorowicz Ernest, L'Empereur Frederic II, traduit de l'Allemand par Albert Kolm, Editions Gallimard, 1987, PP. 17-19; Huillard-Breholles (J.-L.-A.), Historia Diplomatica Friderici Secundi, Préface et Introduction, Ed. Plon, Paris, MDCCCLIX (1859), P. 177.

(4)Kantorowicz, Op. cit., PP.17-18.

(5) انظر: Kantorowicz (E.), Op. cit., PP. 25, 28; Huillard-Breholles, Op. cit., P. 178-179.

(6) انظر: Kantorowicz (E.), Op. cit., P. 29; Huillard- Breholles, Ibidem; Lavisse Ernest et Rambaud Alfred, Histoire Générale du IV^{e} siècle A Nos jours, Tome II, L'Europe Féodale, Les Croisades 1095-1270, Edition Armand Colin et C^{ie}., Paris. 1893, PP. 177- 178; Jordan Edouard, Histoire du Moyen- Age, Tome IV, Paris, 1939, P. 173.

(7) لمزيد من التفاصيل عن هذه المرحلة الانتقالية الحرجة والصعبة، التي مارست فيها البابوية، الوصاية على فردريك حتى بلوغ حدث التتويج، ارجع إلى:

Kantorowicz (E.), Op. cit., PP. 29- 109; Huillard- Breholles, Historia Diplomatica Friderici Secundi, Introduction, PP. 48- 49, 211-214; Idem, Recherches sur les Monuments et L'Histoire des Normands et de la maison des Souabes dans l'Italie Méridionale, Paris, 1844, PP. 57- 59; Lavisse et Rambaud, Op. cit., T. II, PP. 178- 181, 196- 197; Luchaire Achile, Innocent III, 3eme Edition, Paris, 1907, PP. 155 et Suivantes; Jordan (E.), Op. cit., T. IV, PP. 173 et suiv.

كان الكتاب المسلمون على دراية بالمفهوم السياسي والجغرافي للإمبراطورية الألمانية. وعن ذلك قال أبو الفداء: "والإمبراطور معناه ملك الأمراء بالفرنجيّة وإنّما اسم الامبراطور المذكور فردريك وكان صاحب جزيرة صقلية ومن البرّ الطويل بلاد انبولية Apulie والانبردية Lombardie المختصر في أخبار البشر، في امارى (م.): المكتبة العربية الصقلية، ليبسك، 1857، ص. 419. وورد هذا المعنى أيضا عند: ابن أيبك الدواداري: كنز الدُّرَر وجامع الغُرر، الجزء السابع، الدر المطلوب في أخبار

ملوك بني أيوب، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، 1391هـ/ 1972م، ص. 292؛ وابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، حقّقه د. حسنين محمد ربيع وراجعه د. سعيد عبد الفتاح عاشور، الجزء الرابع (615هـ- 628هـ)، ص. 234. وذكره ابن الأثير فقال إنّه "ملك الألمان ولقبه انبرور قيل معناه ملك الأمراء المعظّم". الكامل في التاريخ، في المكتبة الصقلية، ص. 314.

(8) Kantorowicz, Op. cit., PP. 338- 339; Lavisse et Rambaud, Op. cit., T. II, PP. 189 -188؛ وصفه ابن الأثير، فقال: "كان حيّا وكان شهما شجاعا مقداما". الكامل، في المكتبة الصقلية، ص. 314.

(9) ابن واصل (جمال الدين): مفرّج الكروب في أخبار بني أيوب، حقّقه ووضع حواشيه، د. حسنين محمد ربيع راجعه وقدم له، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، الجزء الرابع (615- 628هـ)، ص. 234؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار الدول، في آماري: المكتبة العربية الصقلية، ليبسك، 1857م، ص. 419؛ أحمد عزيز: تاريخ صقلية الإسلامية، نقله إلى العربية، د. أمين توفيق الطيبي، طرابلس الغرب، 1399هـ/ 1979م، ص. 94، 98- 99، 102- 105؛ ول ديوورنت: قصة الحضارة- عصر الإيمان- الجزء الرابع، المجلد الرابع، ترجمة محمد بدران، الطبعة الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1965، ص. 286- 288. وانظر أيضا:

Lavisse et Rambaud, Op. cit., T. II, PP. 192-194; Kantorowicz, Op. cit., PP. 302-336; Huillard-Breholles, Hist. Dipl., Intr., P. 180; Leroy (B.), Le Monde Méditerranéen, du VII^{e}-XIII^{e} siècle, Editions Ophris, Paris 2000, P. 193 .

(10) ول ديورنت: المرجع السابق، جـ 4، م. 4، ص. 288- 289؛ أحمد عزيز: المرجع السابق، ص. 99. وانظر أيضا:

Huillard-Breholles, vie et Correspondance de Pierre de la vigne, Ministre de l'empereur Frederic II, Ed. Henri Plon, Paris, 1865, PP. 156, 191- 192, 195- 196; Lavisse et Rambaud, Op. cit., T. II, P. 194; Kantorowicz, Op. cit., P. 179, 181- 182.

(11) انظر: Huillard-Breholles, Op. cit., P. 236; Leroy Béatrice, Op. Cit., P. 193.

(12) ول ديورنت: المرجع السابق، جـ 4، م. 4، ص. 283- 285. وانظر أيضا:

Lavisse et Rambaud, Op. cit., T. II, PP. 188- 192; Leroy (B.), Op. cit, P. 192.

(13) انظر: Huillard- Breholles, Historia Diplomatica, Introduction, P. 519.

(14) تتجسّد هذه الخشية من خلال حرص البابوية على أخذ الوعود من فردريك بوجوب الفصل بين تاجي ألمانيا وإيطاليا بما فيها صقلية. عن هذا الموضوع ارجع إلى: Rambaud, Op. cit., T. II, PP. 180- 181, 197; Kantorowicz (E.), Op. cit., PP., 28, 34, 60- 61, 99- 101, 106.

(15) تحدّث كتاب المصادر الإسلامية عن استرجاع الكامل الأيوبي لمدينة دمياط، منهم: جمال الدين بن واصل: مفرّج الكروب في أخبار بني أيّوب، حققه ووضع حواشيه حسنين محمد ربيع، راجعه وقدم له، الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الجزء الرابع (615هـ- 628هـ)، ص. 92- 101؛ أبو شامة: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النوريّة والصلاحيّة، في مجموعة المؤرّخين الصليبيين- المؤرخين الشرقيين، R.H.C., (H. O.), Paris, MDCCCXCVIII, T. IV, PP. 183- 185؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج. 29، ص. 73- 76.

(16) عن تفاصيل هذه العلاقة القائمة بين الإمبراطور فردريك الثاني والبابوية، ارجع إلى:

عاشور (سعيد عبد الفتاح): الحركة الصليبية، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1963، ص. 993- 994. وانظر أيضا:

Matthieu Paris, La Grande Chronique, Traduction Huillard-Breholles, Paulin, Libraire-Editeur, Paris, 1840, T. III, PP. 366- 367, 371; Bernard le Trésorier, Continuation de L'Histoire des croisades de Guillaume de Tyr, dans collection des Mémoires Relatifs à L'Histoire de France depuis la Fondation de la Monarchie Française jusqu'au 13ème Siècle, Brière libraire, Paris, 1824, PP. 343, 393, 399- 407; Lavisse et Rambaud, Op. cit., T. II, PP. 197- 198; Kantorowicz (E.), Op. cit., P. 134; Huillard- Breholles, Historia Diplomatica Introduction, PP. 324-325; De Cherrier (C.), Histoire de la lutte des Papes et des

Empereurs de la maison de Souabe, De ses causes et de ses effets, Libraire- Editeur A. Courcier, Paris, PP. 270, 275.

(17) عاشور: الحركة الصليبية، الجزء الثاني، ص. 994. وانظر أيضا:

Matthieu Paris, Op. cit., T. III, P. 367; Bernard le Trésorier, Op. cit., P. 407; Huillard- Breholles, Historia Diplomatica, Introduction, P. 325; De Cherrier (C.), Op. cit., Tome Deuxième, PP. 273, 275; Kantorowicz, Op. cit., P. 136.

هيئتا الداوية Templiers والاسبتارية Hospitaliers ، هما هيئتان نشأتا خلال الحروب الصليبية، تحول نشاطهما من دور إنساني إلى عسكري ولهما دور فعال في الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق.

(18) انظر: Bernard le Trésorier, Op. cit., P. 409; Huillard- Breholles, Hist. Diplo., Introduction, PP. 328; Kantorowicz, Op. cit., PP. 136- 137; De cherrier, Op. cit., Tome Deuxième, P. 293; Lavisse et Rambaud, Op. cit., T. II, P. 198.

(19) انظر: Matthieu Paris, Op. cit., T. III; PP. 367- 369; Huillard- Breholles, Hist. Diplo., Introduction, PP. 325-326; De cherrier, Op. cit., Tome Deuxième, PP. 288- 289; Kantorowicz, Op. cit., PP. 134- 135.

(20) انظر: Bernard le Trésorier, Contin., P. 393; Kantorowicz, Op. cit., P. 134; Rambaud Alfred, L'Empereur Frédéric II, dans Revue des Deux Mondes, Paris, T. 82, Juillet- Août 1887, PP. 431- 432; Lavisse et Rambaud, T. II, Op. cit., P. 197. عن المشاكل التي كان على فردريك معالجتها في ألمانيا وإيطاليا، شمالها وجنوبها، ارجع إلى: Kantorowicz, Op. cit., PP. 135- 158.

(21) انظر: Lavisse et Rambaud, Op. cit., T. II, P. 199; Kantorowicz, Op. cit., PP. 162- 163; Rambaud Alfred, Op. cit., T. 82, P. 432.

(22) عاشور: الحركة الصليبية، الجزء الثاني، ص. 1000- 1001. وانظر أيضا: Matthieu Paris, Op. cit., T. III, PP. 341- 342;Bernard le Trésorier, contin., P. 413; Lavisse et Rambaud, Op. cit., T. II, P. 199.

(23) انظر Bernard le Trésorier, Contin., P. 413; Matthieu Paris, Op. cit., T. III, PP. 369- 370;Kantorowicz, Op. cit., PP. 160- 161; Huillard-Breholles, Hist. Diplo., Introduction, P. 328.

قدّر المؤلّف متى الباريسي، حجم قوة الجيش الصليبي بأربعين ألف محارب، عدد، يتّسم دون شكّ بالمبالغة الواضحة. Matthieu Paris, Op. cit., T. III, PP. 338, 442.

وقد ضمّ هذا الجيش خليطا من الأجناس، منهم الألمان، الإنجليز والفريزيين Frisons. انظر: Kantorowicz, Op. cit., PP. 160- 161.

تطلّ برنديزي على بحر الأدرياتيك، لكن متى الباريسي أشار إلى أنّ فردريك أبحر من أحد موانئ المتوسط Op. cit., T. III, P. 342.

(24) انظر: Bernard le Trésorier, Contin., P. 415; Matthieu Paris, Op. cit., T. III, P. 342; Kantorowicz, Op. cit., PP. 161- 162; Huillard- Breholles, Op. cit., PP.328- 329; Lavisse et Rambaud, Op. cit., T. II, P. 199; Rambaud, Op. cit., T. 82, P. 432.

(25) أورد المؤلّفان متى الباريسي وشريير Cherrier، الرسالة الكاملة التي بعث بها البابا جريجوري في 10 أكتوبر، إلى سائر أقطار العالم المسيحي وهي تتضمّن إجراء الحرمان، ظروفه وجذور دوافعه. انظر: Matthieu Paris, Op. cit., T. III, PP. 364- 375; Cherrier, Op. cit., Tome Deuxième, PP. 319- 321.

عن تفاصيل هذه الأزمة، ارجع إلى:

Bernard le Trésorier, Contin., Op. cit., P. 415; Kantorowicz, Op. cit., PP. 163- 164; Cherrier, Op. cit., Tome Deuxième, PP. 318- 319; Huillard- Breholles, Hist. Diplo., Introduction, P. 329.

(26) انظر: Cherrier, Op. cit., Tome Deuxième, PP. 323- 326; Kantorowicz, Op. cit., P. 165.

(27) عاشور: الحركة الصليبية، الجزء الثاني، ص. 1001. وانظر أيضا: Cherrier, Op. Cit., Tome deuxième, P. 333; Kantorowicz, Op. cit., P. 165- 166.

(28) انظر: Matthieu Paris, Op. cit., T. III, PP. 375- 378; Kantorowicz, Op. cit., PP. 166- 167; Cherrier, Op. cit., Tome Deuxième, PP. 326- 327.

(29) عاشور: الحركة الصليبية، الجزء الثاني، ص. 1001. وانظر أيضا: Matthieu Paris, Op. cit., T. III, P. 378.

(30) انظر: Huillard-Breholles, Hist. Dipl., Introduction, P. 324; Lavisse et Rambaud, Op. cit., T. II, P. 200.

(31) المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي): السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1934، الجزء الأول، القسم الأول، ص. 214؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983، الجزء التاسع، ص. 371؛ عاشور: الحركة الصليبية، الجزء الثاني، ص. 997- 998. وانظر أيضا: Cherrier, Op. cit., Tome Deuxième, PP. 338- 339.

أشار المؤرّخ كانتوروبتز Kantorowicz إلى هذا الخلاف، لكنّه وقع في الخطإ، عندما اعتبر السلطان الكامل، ابنا لصلاح الدين، والأشرف حاكما على دمشق. انظر: Op. cit., P. 173.

عرف العادل عند الصّليبيين، باسم صفي الدين Saphadin.

(32) عقد الجمان، في Recueil des Historiens des Croisades, (Historiens orientaux), Tome II, 1ere Partie, Paris. 1887, P. 184- 186.

وردت هذه الفكرة عند كلّ من: ابن واصل: مفرّج الكروب في أخبار بني أيّوب، حقّقه ووضع حواشيه حسنين محمد ربيع وراجعه وقدّم له، سعيد عبد الفتاح عاشور، الجزء الرابع

(615هـ- 628هـ)، ص. 206؛ النويري: المصدر السابق، جـ. 29، ص. 91- 92؛ المقريزي (تقي الدين): كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، صحّحه ووضع حواشيه، محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1934، الجزء الأول، القسم الأول، ص. 216، 221- 223، وفي: آماري (م.): المكتبة العربية الصّقلية، ليبسك، 1857، ص. 518- 519؛ أبي الفداء: كتاب المختصر في أخبار البشر، في المكتبة العربية الصقلية، ص. 418.

وأشار متى الباريسي Matth. Paris، إلى وجود خلافات بين المسلمين في الشرق وإلى المضايقات التي أمسى السلطان الكامل، يتعرّض لها من كلّ جهة، ممّا دفع به إلى عقد صلح مع الإمبراطور فردريك. Op. Cit., T. III, P. 409.

(33) المصدر السابق، ص. 206.

وعن هذه المبادرة، ارجع أيضا إلى: كتاب السلوك، في المكتبة الصقلية، ص. 518؛ عقد الجمان، في: R. H. O., T. II, 1ère Partie, PP. 186- 187.؛ كتاب المختصر، في المكتبة الصقلية، ص. 418.

(34) انظر: Cherrier, Op. cit., Tome Deuxième, P. 340; Huillard- Breholles, Hist. Dipl., Introduction, P. 329.

(35) انظر: Cherrier, Ibid.

(36) انظر: Huillard- Breholles, Hist. Dipl. Intr., P. 329.

(37) المصدر السابق، الجزء الأول، القسم، ص. 223، وفي المكتبة الصقلية، ص. 518- 519.

(38) في المكتبة الصقلية، ص. 519.

عبّر أبو الفداء، عن هذا النشاط الدبلوماسي، بقوله: "وتردّدت الرسل بين الملك الكامل وبين الإمبراطور الى أن خرجت هذه السنة" -625هـ/ 1227م-. المختصر، في المكتبة الصقلية، ص، 418. وأشار مُتمّم وليم الصوري، إلى مراسلة فردريك السلطان الكامل، أثناء أزمته مع البابا جريجوري IX، يطلب منه الهدنة سرّاً، ثمّ ذكر أيضا، عودة مبعوثي الإمبراطور من مصر. انظر: Contin. P. 415- 417.

(39) أبو شامة المقدسّي: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، في R. H. C., Hist. Or., T. V, P. 185؛ وانظر أيضا نفس النص عند: العيني: المصدر السابق، R.H.C., Hist. Or., T. II, 1ere Partie, P. 186.

(40) انظر: Huillard- Breholles, Hist. Dipl., Intr., P. 329.

(41) انظر: Cherrier, Op. cit., Tome Deuxième, P. 341.

(42) انظر: Kantorowicz, Op. cit., PP. 167, 169.

(43) ابن واصل: المصدر السابق، جـ 4، ص. 233- 234؛ ابن الأثير، الكامل، في المكتبة الصقلية، ص. 314- 315؛ العيني، المصدر السابق، في: R.H.C., (H. O), T. II, 1ere Partie, P. 187؛ وانظر أيضا: Bernard le Trésorier, Contin., P. 417; Matthieu Paris, Op. cit., T. III, P. 388; Kantorowicz, Op. cit., PP. 168, 170; Cherrier, Op. cit., Tome Deuxième, P. 347; Huillard- Breholles, Hist. Dipl., Intr., P. 330.

قدّر ابن الأثير هذه القوة "بالجمع الكثير". نفس المصدر، في المكتبة، ص. 314. ذكر ابن واصل أنّ الإمبراطور، قدم إلى "عكا في جموع كثيرة من الألمانية وغيرها من الفرنج". نفس المصدر، ج. 4، ص. 233.

(44) انظر: Matthieu Paris, Op. cit., T. III, P. 389; Cherrier, Op. cit., Tome Deuxième, P. 349.

أشار كلّ من ابن واصل: نفس المصدر، جـ 4، ص. 234؛ وابن الأثير: نفسه، إلى هذه الموجة الصليبية التي نزلت ببلاد الشام عام 1227م. وقدّر الباحث، ويبارد بريهولاس H. Breholles، عدد هؤلاء الفرسان، بألف وخمسمائة فارس. Ibidem.

(45) ابن واصل: المصدر السابق، جـ 4، ص. 234؛ ابن الأثير: المصدر السابق، في المكتبة الصقلية، ص. 314.

(46) في طريقه إلى بلاد الشام، فرض فردريك، ما للإمبراطورية من حقوق إقطاعية على جزيرة قبرص، بالحوض الشرقي من المتوسط، عن وصول فردريك إلى قبرص وعلاقة أسرة الهوهنشتاوفن بهذه الجزيرة، ارجع إلى: ابن الأثير، الكامل، في المكتبة الصقلية، ص. 315؛ ابن

واصل: نفسه. وانظر أيضا: Bernard le Trésorier, Contin., PP. 417- 419; Matthieu Paris, Op. cit., T. III, P. 388; Kantorowicz, op. cit., PP. 170- 172; Huillard- Breholles, Hist. Dipl., Intr., PP. 332- 334.

(47) عاشور: الحركة الصليبية، جـ. 2، ص. 1005.

(48) المقريزي: كتاب السلوك، جـ. 1، ق. 1، ص. 225- 226؛ ابن الأثير: الكامل، الجزء التاسع، ص. 374- 375، 377، وفي المكتبة الصقلية، ص. 315؛ النويري: المصدر السابق، جـ. 29، ص. 97- 98؛ عاشور، الحركة الصليبية، الجزء الثاني، ص. 1004- 1006؛ رنسمان ستيفن، تاريخ الحروب الصّليبية، ترجمة الدّكتور السّيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1980، جـ. 3، ص. 327- 328.

(49) ابن واصل: المصدر السابق، جـ. 4، ص. 234. وانظر أيضا: Bernard le Trésorier, Contin., P. 421; Cherrier, Op. cit., Tome Deuxième, P. 351.

(50) انظر: Kantorowicz, Op. cit., P. 174.

(51) المختصر، في المكتبة الصقلية، ص. 418- 419.

(52) انظر: Bernard le Trésorier, Contin., PP. 419, 423- 425; Matthieu Paris, Op. cit., T. III, P. 388; Kantorowicz, Op. cit., PP. 172- 173; Cherrier, Op. cit., Tome Deuxième, PP. 349- 350; Huillard- Breholles, Hist. Dipl., Intr., P. 336.

(53) عاشور: الحركة الصليبية، الجزء الثاني، ص. 1008. وانظر أيضا: Kantorowicz, Op. cit., P. 169.

(54) ابن واصل، المصدر السابق، جـ. 4، ص. 243؛ المقريزي، المصدر السابق، في المكتبة الصقلية، ص. 520- 521؛ العيني: عقد الجمان، في: R. H. C., H. Or., T. II, 1ère Partie, P. 189.

(55) المقريزي: السلوك، في المكتبة الصقلية، ص. 519. وانظر أيضا:

Benard le Trésorier, Continuateur, P. 421; L'Histoire de Eracles Empereur et la Conqueste de la Terre d'outremer, Continuation de L'Histoire de Guillaume

Arcevesque de sur, dans Recueil des Historiens des croisades, Hist. Occidentaux, Imprimerie Imperiale, Paris, 1859, Tome second, livre 33eme, chapitre IV, PP. 369- 370; Cherrier, Op. cit., Tome Deuxième, PP. 353- 354; Huill- Breholles, Hist. Dipl., Intr., P. 335; Kantorowicz, Op. cit., P. 174 ؛

ذكر برنارد الخازن، أنّ فردريك، بعث رسوله إلى الكامل من مدينة يافا.

تجدر الإشارة إلى أنّ للمؤرخ وليم الصوري Guill. De Tyr، عدّة مُتمّمين لكتابه الشّهير تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحر Histoire rerum in Partibus Transmarinis Gestarum.

(56) انظر: L'Histoire de Eracles, T. II, Liv. 33, Chap. IV, P. 370; Cherrier, Op. cit., Tome Deuxième, P. 354.

كونراد، هو ابنه من وريثة بيت المقدس، يولاندا، بنت حنادي بريان. توفيت عقب إنجابها له في أحد قصوره، المسمى كاستل دلونت Castel- Del- Monte، بجنوب إيطاليا. انظر: Cherrier, Op. cit., Tome Deuxième, PP. 342- 343.

(57) انظر: L'Histoire de Eracles, Ibid; Kantorowicz, Op. cit., P. 174.

(58) السلوك، في المكتبة الصقلية، ص. 519. وانظر أيضا: ابن واصل: المصدر السابق، جـ. 4، ص. 234- 235.

(59) انظر: L'Histoire de Ercles, Ibid; Huillard-Breholles, Hist. Dipl., Intr., PP. 335- 336.

(60) انظر: Matthieu Paris, Op. cit., T. III, P. 389; Estoire de ERACLES, T. II, Liv. 33, Chap. VI, PP. 371- 372; Huillard-Breholles, Hist. Dipl., Intr., P. 335; Kantorowicz, Op. cit., P. 174.

(61) مفرج الكروب، جـ. 4، ص. 235، 241؛ السلوك، في المكتبة الصقلية، ص. 520. وانظر أيضا: أبا الفداء، المختصر، في المكتبة الصقلية، ص. 419؛ العيني: عقد الجمان، في: R.H.C., Hist. Or., T. II, 1ere Partie, P. 188.؛ وعبّر ابن الأثير عن هذا النّشاط الدبلوماسي الحثيث، فقال: تردّدت الرسل بينهما وبين الامبرور ملك الفرنج خذلهم الله دفعات كثيرة.

الكامل في المكتبة الصقلية، ص. 316؛ وقال النويري: "وتردّدت الرسائل بينه وبين الأنبَرُور..."، نهاية الارب، جـ. 29، ص. 98. ذكرت المصادر، مفاوضا آخر، وهو الصّلاح الإرْبيليّ. انظر: النويري: نفسه؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباس، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط. 5، 2009، مج. 1، ص. 186؛ وانظر أيضا: L'Histoire de Eracles, ds R.H.C., Hist. Occ., T. II, Liv. 33, Chap. VI, P. 371.

(62) ابن واصل: المصدر السابق، جـ. 4، ص. 241؛ العيني، المصدر السابق، ص. 188.

(63) ابن واصل، نفسه؛ العيني، المصدر السابق، ص. 189.

(64) رنسمان، المرجع السابق، جـ. 3، ص. 329. وانظر أيضا: Huillard- Breholles, Hist. Dipl., Intr., P. 336؛ شاركت في حصار دمشق، قوات الأخوين، الكامل والأشرف وتمّ فتحها في الإثنين ثاني شعبان سنة 626هـ/ 12 جويلية 1229م، ونال الناصر داود حقّه من الملك، في إطار خريطة سياسية جديدة للدّولة الأيوبية. لمزيد من التّفاصيل عن هذه الأحداث، ارجع إلى: المقريزي: السلوك، جـ. 1، ق. 1، ص. 227؛ أبي الفداء، المختصر، في المكتبة الصقلية، ص. 419؛ الكامل، جـ. 9، ص. 379؛ النويري، المصدر السابق، جـ. 29، ص. 100؛ عاشور: الحركة الصليبية، الجزء الثاني، ص. 1006- 1007.

(65) انظر: Kantorowicz, op. cit., p.174. Matthieu Paris, op. cit., T.III, p.419;

(66) عاشور: الحركة الصليبية، الجزء الثاني، ص. 1008. وانظر أيضا:

Kantorowicz, op. cit., P.174-175; Huillard-Breholles, Hist. .Dipl., Intr., P. 336; Cherrier, op. cit., Tome deuxième, P. 351 .

(67) رنسمان: المرجع السابق، جـ. 3، ص. 329. وانظر أيضا:

Matthieu Paris, op. cit., T.III, P. 420; L'Histoire d'Eracles, T. II, Liv. 33, P. 372; Huillard-Breholles, Ibid; Cherrier, op.cit., Tome deuxième, pp.357-359, Kantorowicz, op. cit., p.174.

(68) رنسمان: المرجع السابق، جـ. 3، ص. 330.

(69) عاشور: الحركة الصليبية، الجزء الثاني، ص. 1009. وانظر أيضا:

Matthieu Paris, op. cit., T.III, PP.396-399; L'Histoire de Eracles, T. II, Liv. 33, P. 373; Bernard le Trésorier, Contin., P.425; Cherrier, op.cit., Tome deuxième, pp.360-361.

(70) عاشور: المرجع السابق، الجزء الثاني، ص. 1009- 1010.

(71) انظر: Kantorowicz, op.cit., p.17; Cherrier, op. cit., Tome Deuxième, pp.361-362.

(72) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، -حوادث ووفيات، 621-630هـ تحقيق الدكتور عمر بن عبد السّلام تَدْمُريّ، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1418هـ/ 1998م، ص. 30.

(73) الذهبي: العِبر في خبر من غَبَر، حققه وضبطه على مخطوطتين، محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1405هـ/ 1985م، الجزء الثالث (من سنة 547هـ إلى سنة 700هـ) ص. 195.

وظّف سعيد عاشور، -الحركة الصليبية، جـ. الثاني، ص1010- نفس النص تقريبا، استمده من كتاب "الوافي بالوفيات" لابن عبد الله الصفدي، نقلا عن المكتبة العربية الصقلية، الجزء الثاني، ذيل الباب الثاني والسبعين.

(74) انظر: Huillard-Breholles, Hist. Dipl., Intr., P. 336

(75) السلوك، في المكتبة الصقلية، ص. 520.

وعن الأحداث المذكورة، ارجع إلى: عاشور: الحركة الصليبية، الجزء الثاني، ص. 1010-1011؛ رنسمان: المرجع السابق، ج.3، ص 229-230. وانظر أيضا:

Huillard-Breholles, op.cit, PP.336- 337, Cherrier, op. cit., Tome deuxième, P. 360

(76) رنسمان: المرجع السابق، ج. 3، ص330. وانظر أيضا: Huillard-Berholles, Ibid; Kantorowicz, op.cit., P. 177.

(77) رنسمان: نفسه. وانظر أيضا: Kantorowicz, op.cit., P175-176

(78) المقريزي: السلوك، في المكتبة الصقلية، ص. 520، النويري: نهاية الأرب، ج.29، ص98، ابن أيبك الدّواداري: المصدر السابق، الجزء السابع، ص. 292. وانظر أيضا: Matthieu Paris, Op. cit, T. III, P. 412; Bernard le Trésorier, Contin., P. 423.

(79) انظر: Matthieu Paris, Op. cit., T. III, P. 427; Cherrier, Op. cit., Tome Deuxième, P. 363

(80) السلوك، في المكتبة الصقلية، ص. 520-521.

عن هذا الاتفاق ارجع إلى: ابن واصل: المصدر السابق، الجزء الرابع، ص. 241-242؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، القسم الثاني من الجزء الثامن، الطبعة الأولى، مطبعة دار المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن، الهند، ص. 653- 654؛ ابن أيبك الدواداري، المصدر السابق، جـ 7، ص. 292- 293؛ النويري: المصدر السابق، جـ 29، ص. 98؛ أبي الفداء: المختصر، في المكتبة الصقلية، ص. 419- 420؛ أبي شامة: كتاب الرّوضتين، في R.H.O., T. V, P. 186؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص. 378؛ العيني: المصدر السابق، في: R.H.O., T. II, 1ere P., P. 189؛ ابن كثير: البداية والنّهاية، جـ 13، ص. 3678؛ رنسمان: المرجع السابق، جـ 3، ص. 330- 331؛ عاشور: الحركة الصليبية، الجزء الثاني، ص. 1011. وانظر أيضا:

(81) Matthieu Paris, Op. cit., T. III, PP. 411- 413; L'Histoire de Eracles, Liv. 33, Chap. VIII, P. 374; Bernard le Trésorier, Continuateur, PP. 421- 423; Kantorowicz, Op. Cit., PP. 177- 178 .

- انظر: Matthieu Paris, Op. cit., T. III, P. 414; Cherrier, Op. cit., Tome Deuxième, P. 363; Huillard- Breholles, Hist. Dipl., Intr., P. 337.

(82) انظر: Matthieu Paris, Op. cit., T. III, P. 412; Cherrier, Ibid.; Huillard- Breholles, Ibid.; Bernard le Trésorier, Contin., P. 423.

(83)Bernard le Trésorier, Ibid.; Cherrier, Ibid.

(84) السلوك، في المكتبة الصقلية، ص-521. وانظر أيضا: Bernard le Trésorier, Contin., P. 423.

وعن هذا الحدث، ارجع إلى: العيني: عقد الجمان، في 190 -189 .R.H.O.,T.II, 1ere P., PP؛ أبي شامة: في R.H.O.,T. V, P. 186؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء السادس، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ص. 271- 272.

(85)Matthieu Paris, Op. cit., T. III, PP. 413, 416, 420, 426; Bernard le Trésorier, Contin., PP. 423-425; L'Histoire de Eracles, Liv. 33, Chp. VIII, P. 374; Kantorowicz, Op. cit., PP. 186- 187, 193; Cherrier, Op. cit., Tome Deuxième, PP. 374- 375.

(86) المصدر السابق، في: R.H.O., T. II, 1ere P., P. 190- 191.

(87) المصدر السابق، القسم 2، الجزء 8، ص.654. وعن ردة فعل المسلمين تجاه هذا الحدث، ارجع إلى: أبي شامة: المصدر السابق، في: R.H.O., T. V, P. 186؛ أبي المحاسن: المصدر السابق، الجزء السادس، ص 272؛ ابن واصل: المصدر السابق، الجزء الرابع، ص 243، النويري: نهاية الأرب، جـ 29، ص. 98-99، الدوادارى: المصدر السابق، جـ 7، ص. 292-293.

(88) السلوك، تحقيق مصطفى زيادة، الجزء الأول، القسم الأول، ص. 232.

(89) السلوك، في المكتبة الصقلية، ص. 520.

(90) السلوك، في المكتبة الصقلية، ص 520-521. وانظر أيضا: العيني: في R.H.O., T. II, 1ere P., P. 189.

(91) سبط ابن الجوزي: المصدر السابق، القسم 2، الجزء 8، ص. 656.

(92) سبط ابن الجوزي، المصدر نفسه، ص. 655؛ العيني: المصدر السابق، في: R.H.O., T. II, 1ere P., P. 192.

(93) ابن واصل: المصدر السابق، الجزء الرابع، ص. 244.

(94) ابن واصل: المصدر نفسه، ص. 245.

(95) ابن الجوزي: المصدر السابق، القسم 2، الجزء 8، ص. 656-657.

(96) الدواداري: المصدر السابق، الجزء السابع، ص. 294. وانظر أيضا: ابن الجوزي: المصدر السابق، ق. 2، جـ. 8، ص. 656.

(97) نفسه، ص. 656.

(98) المصدر السابق، جـ. 7، ص. 293- 294.

عن زيارة فردريك إلى بيت المقدس، ارجع أيضا إلى: العيني: المصدر السابق، في: R.H.O., T. II, 1^ere P., PP. 192- 194؛ المقريزي: السلوك، في المكتبة الصقلية، ص. 521- 522.

(99) أبو المحاسن: المصدر السابق، الجزء السادس، ص. 272؛ وانظر أيضا: ابن الجوزي، المصدر السابق، ق. 2، جـ. 8، ص. 657؛ الدواداري، المصدر السابق، جـ. 7، ص. 294.

(100) عن تفاصيل هذه الأحداث، ارجع إلى: رنسمان: المرجع السابق، جـ. 3، ص. 336- 344؛ عاشور، الحركة الصليبية، الجزء الثاني، ص. 1015- 1017؛ وانظر أيضا:

L'Histoire de Eracles, Liv. 33, Chap. IX, PP. 375, Chap. XII, P. 379; Bernard le Trésorier, Contin., PP. 425- 427; Kantorowicz, Op. cit., PP. 193- 198; Cherrier, Op. cit., Tome Deuxième, PP. 375- 393; Huillard-Breholles, Hist. Diplo., Intr., PP. 341- 343.

(101) انظر: Matthieu Paris, Op. cit., T. III, P. 419; Kantorowicz, Op. cit., PP. 168, 170, 174- 178; Rambaud (A.), Op. cit., T. 82, P. 434.

(102) رنسمان، المرجع السابق، جـ. 3، ص. 331.

(103) انظر: Kantorowicz, Op. cit., PP. 176- 177; Huillard-Breholles, Hist. Dipl., Intr., P. 337.

(104) ابن واصل: المصدر السابق، الجزء الرابع، ص. 242.

(105) انظر: Kantorowicz, Op. cit., P. 175- 176.

(106) انظر: Idem, P. 181; Rambaud (A.), Op. cit., T. 82, P. 434.

(107) ابن كثير: المصدر السابق، جـ. 13، ص. 3700. وانظر أيضا:

Kantorowicz, Op. cit., P. 176; Cherrier, Op. cit., Tome Deuxième, P. 355.

(108) عاشور: الحركة الصليبية، الجزء الثاني، ص. 1010.

(109) انظر: Kantorowicz, Op. cit., P. 178.

(110) عاشور: الحركة الصليبية، الجزء الثاني، ص. 1014. و انظر أيضا: Kantorowicz, Op. cit., PP. 186- 192; Rambaud (A.), Op. cit., T. 82, P. 435.

(111) انظر: Kantorowicz, Op. cit., P. 160.

(112) ابن واصل: مفرج الكروب، الجزء الرابع، ص. 246؛ العيني: المصدر السابق، في: R.H.O., T. II, 1ere P., P. 192.